((معجمات المعاني أو الموضوعات))

معجم المعاني أو الموضوعات يتكون من عدة كتب كل كتاب يجمع ألفاظاً تدور حول معنى واحد أو موضوع واحد مثل (المخصص) لان سيده، وبعده معجم (العالم والمتعلم) لمحمد بن أبان بن سيد (ت354هـ).( )

وتعدُّ دراستي لكتاب المخصص دراسة مختصرة أو مجرد إشارة إلى التعريف بهِ لأنه سَبَقَ وأنْ دُرِسَ درَاسَة مُفَصّلةٍ مِنْ الدكتور عبد الكريم شديد النعيمي في كتابه (ابن سيده وجهوده اللغوية) فضلاً عن ذلك دراسته دراسة منهجية في رسالته الماجستير (مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري) من قبل الباحث أحمد فرج الربيعي وابتعاداً عن التكرار لم أتطرق في دراستي إلى تحليل المواد اللغوية والمصادر التي اعتمدها في المخصص.

1- المخصص: لابن سيده (ت458هـ)

ذكر ابن سيده السبب الذي دَعاهُ إلى تأليف (المخصص) فعزاه إلى دافعين، الأول: ما وجده في كتب القدماء من مظاهر النقص والاختلال.

الثاني: إشارة الأمير مجاهد العامري عليه بأنْ يضعَ في اللغة كتاباً جامعاً شاملاً يضّم شتات فوائد كتب اللغة.( )

ويقول ابن سيده في هذا الصدد ((إنّ الأمير مجاهد العامري تأمّلَ فوجد غير واحد من مقلدي فضله، ومطوقي، طَوْله مبزياً بذلك، مُقيتاً عليه، وكُلاً عجم فوجدني أعتق تلك القداح جوهرا... فأهلني لذلك واستعملني فيه)).( )

إلا أنّ الآراء تعددت حول كلام ابن سيده، منها أَن الأَمير مجاهد العمري كانت له مشاركة في تأليف المخصص، إذ ذكر ابن سيده في مقدمة المخصص أنّ للأمير مجاهد الفضل في وضع نظام الكتاب وكيفية حل مشكلات لتأليف وتيسير العبارة وإيجازها.( )

فذكر الحميدي في كتابه (جذوة المقتبس) والأشبيلي في (فهرسة ابن خير) أنّ ما عرف عن مجاهد العامري من رغبة في الإشتهار برعاية العلماء وتشجيعهم على الدرس والتأليف، وأنّه من عادته أنْ يبعث إليهم بالهبات والعطايا على أنْ يذكروه في مقدمات كتبهم، وقد فعل ذلك مع ابن التياني وأرسل إليه ألف دينار أندلسية على أنْ يزيد في ترجمة كتاب (تلقيح العين).( )

وذهب البير حبيب مطلق إلى أنّ ما نُسب إلى مجاهد العامري من مشاركة في تأليف المخصص.كلام لا يأخذ مأخذ الجد، إلا أنّ ما أبداه من أسباب استند إليها ليست بمنأى عن المناقشة والرّد( )، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الكريم شديد النعيمي في كتابه(ابن سيده وجهوده اللغوية) إذ قال( ) :(إن إشادة ابن سيده لمجاهد العامري في مقدمة المخصص هي إشادة بفضل الأمير ورعايته له والتشجيع الذي لاقاه، وذكر الأمير في مقدمة المخصص هو اعتراف بالجميل، إلا أنّه يبقى تأليف الكتاب، وترتيبه، وكيفية حل مشكلات التأليف وتيسير العبارة لابن سيده).

-منهج ابن سيده :-

يُعَدُّ المخصص أول معجم معاني يمتاز بضخامة وغزارة مادته وهو مطبوع بخمس مجلدات في نحو(3400) صفحة، بالقطع الكبير جداً، وقد جعل ابن سيده المخصص في عدة كتب متفرعة إلى أبواب بلغ مجموعها زهاء (2400) باب وقسّم أولها وهو الذي خصصه لمعجم المعاني في نحو (2500) صفحة.( )

وعدد هذه الكتب التي تضمنها المخصص عشرين كتاباً هي:-

خلق الإنسان( )، الغرائز( )، النساء( )، اللباس( )، الطعام( )، السلاح( )، الخيل( )، الإبل( )، الغنم( )، الوحوش( )، السباع( )، الحشرات( )، الطير( )، الأنواء( )،

النخل( )، المكنيات والمبنيات( )، المثنيات( )،الأضداد( )، الأفعال

والمصادر( )، المقصور والممدود( ).

ورتب ابن سيده معجمه في كتب وعنوانات تشابهه لعناوين تلك الرسائل وجعل في كل كتاب ألفاظاً تخصّ جانباً مما يقع تحت عنوانه أو يرتبط بمعناه ويلاحظ أنّ ابن سيده لم يلتزم كل الالتزام بهذا المنهج فقد تتداخل الأبواب فيعود ليورد أبواباً أو ألفاظاً سبق وأنْ أورد عنوان كتاب كان المفروض أنّها تنضوي تحت ذلك الباب.( )

ويمكن أنْ نلحظ هذا الترتيب الداخلي لأبواب الكتاب، ملتزماً بأدقها وأكملها في البناء والتأليف، إلا أنّه لم يخلُ من مظاهر التكرار التي نلحظها في أثنائه، ويعود هذا إلى تداخل الأبواب، وضخامة حجم المادة اللغوية التي تناولها.

أما ترتيبه للأبواب فهو ترتيب متباين فنجد باباً يشغل صفحات كثيرة في حين هناك أبواب تقتصر على نصف صفحة.

ويبين هذا أسلوب ابن سيده وهو الإشباع والاتساع، والإيجاز والإختصار للمحافظة على جمع المعاني الكثيرة بطريقة يسيرة، وهنا يحسن اختيار المعاني للألفاظ ويقف على أَهمها وأثبتها، لذلك نلاحظ التباين في أبواب المخصص.( )

أما الأَسس الرئيسة التي ذكر ابن سيده أنّ نظام كتابه يقوم عليها فهي:

(تقديم العام على الخاص، الإتيان بالكليات قبل الجزئيات، الإبتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض).( )

وهذا ما يشير إلى أهم الخصائص التي تميز بها المخصص وهو(التسلسل المنطقي) ويتمثل هذا بالتدرج داخل كل باب من أبواب كتابه، بتقديم الأَعم على الأَخص، والإبتداء بالجواهر والى غير ذلك، فأراد أن يبين الواضح والصحيح من كلام العرب

وكان لابّد أنْ يرافق هذا المنهج فكر منطقي، وكانت الغاية منه عموم الفائدة والسهولة في التناول، وهنا يقدم ابن سيده دليلاً واضحاً على نضج الدراسات اللغوية التي تقوم على منطق فلسفي.

أورد ابن سيده نموذجاً أوضح فيه كيفية تطبيقه هذه الأَسس فذكر كتاب خلق الإنسان وتسلسل القول فيه بادئاً بأطوار خلقه وتكوينه شيئاً فشيئاً ثم أردفت بكلبة جوهره، ثم بطوائفه، وهي الجواهر التي تألف منها كليته، ثم ما يلحقه من العظم والصغر، ثم ما يتبعها من الأعراض، والخصال الحميدة والمذمومة.( )

وقد اعتمد ابن سيده في كل باب من الأبواب على ما ألف في ذلك الباب لمؤلف أو اكثر وكان من نتيجة ذلك أنْ كثر ورود أسماء بعينها في أبواب، وقَلَّ في أبواب أخرى( ).

وعلى الرغم من هذا التباين لكنه لم يهمل الألفاظ ويبدو أن ثقافته اللغوية واطلاعه الواسع مكَّنَه من هذه الميزه.

ومما يلاحظ على ابن سيده أنّه أدخل كثيراً من قواعد الصرف من تذكير وتأنيث وإفراد وتثنية وجمع، وقد خصّص القسم الأول من المخصص من خلال استطراداته في شرح معاني الأَلفاظ وتعليقاته على صياغتها واشتقاقها وقد أفاد في هذا القسم من كتاب سيبويه (ت180هـ) وكتب السيرافي (ت368هـ) و كتب ابن جني (ت392هـ) وغيرهم.( )

وبهذا كانت عنايته فائقة بترتيب الأَلفاظ داخل الباب إذ أخضعها لنظام وقواعد صرفية ونحوية، ذاكراً بناء اللفظة وأصلها ومشتقاتها، إلا أنّ صعوبة المتاعب في منهجه هو (الاستطراد) لأنّه أراد إثراء المادة في معجمه.

-شواهدهُ:

أما شواهد المخصص فأكثرها الشعر والرجز، ولا يميل ابن سيده إلى نسبة شواهده، فمن مجموع أشعار السفر السادس وأرجازه البالغة(396) شاهداً عزا ثلاثة وأربعين شاهداً، أي انّه ترك ستة وعشرين وثلاثمائة شاهد من دون عزو، وبلغ مجموع شواهد هذا السفر ثلاثاً وثلاثين آية، وخمسة وثلاثين حديثاً، وخمسة عشر مثلاً، فضلاً عن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.( )

وبذلك أظهر براعته ومقدرتهُ في الفنون الأدبية ومعالجتها وفق منظورين (منظور الأديب، ومنظور اللغوي) ورصد العالم اللغوي في مقاييسه ومعاييره.( )